Journal Of the Iraqia University (73-10) August (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

سردية الوهم والتمزق النفسي في أعمال فؤاد التكرلي، دراسة نقدية

مرتضى ناظم ضهد الزبيدي

طالب دكتوراه / قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة رازي، كرمنشاه، إيران

The Narrative of Illusion and Psychological Disintegration in the Works of Fouad Al- Takarli: Acritical Study.

Mortada Nazim Dahd

PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Razi University, Kermanshah, Iran

dbkttjucy@gmail.com

مستخلص:

تمثل هذه الدراسة محاولة معمقة لاستكشاف وتحليل روايات الكاتب العراقي البارز فؤاد التكرلي (١٩٢٧-٢٠٠٨)، الذي يُعد أحد أعمدة الرواية الكلاسيكية الحديثة في الأدب العربي. على الرغم من قلة إنتاجه الروائي، إلا أن أعماله تركت أثرًا عميقًا في الثقافة العربية وأثرت المكتبة العربية بشكل كبير. يشتهر التكرلي بأسلوبه السردي الفريد وقدرته الفائقة على تجسيد المشاهد والشخصيات بواقعية مدهشة، مما يعكس تأثره بالأدب الكلاسيكي الحديث مع الحفاظ على بصمته الإبداعية الخاصة.تركز هذه الدراسة بشكل خاص على ثيمتي الوهم والتمزق النفسي كعنصرين أساسيين في أعمال التكرلي، مستخدمةً المنهج الوصفي التحليلي. تسعى الدراسة إلى تفكيك كيفية بناء التكرلي لعوالمه الروائية المشبعة بالاضطرابات النفسية والصراعات الداخلية لشخصياته، والتي غالبًا ما تكون انعكاسًا للواقع العراقي المضطرب سياسيًا واجتماعيًا. من خلال تحليل رواياته الرئيسية مثل "الرجع البعيد" و"خاتم الرمل"و"المسرات والأوجاع"، تستكشف الدراسة كيف وظف التكرلي تقنيات سردية مبتكرة لتصوير حالات الوهم التي تعيشها شخصياته، والتمزق النفسي الذي يعانون منه نتيجة للفقر المادي والمعرفي، والقمع السياسي، والحرمان العاطفي.تخلص الدراسة إلى أن فؤاد التكرلي لم يكن مجرد روائي يصف الواقع، بل كان مصلحًا اجتماعيًا يشخص أمراض مجتمعه بعمق وحرفية أدبية عالية، تاركًا للقارئ مساحة للتأمل في الحلول الممكنة. إن أعماله تعد مرآة صادقة لواقع الإنسان وهمومه، مما يجعله صوتًا أدبيًا فريدًا ومكانة مرموقة في تاريخ الأدب العراقي والعربي.**الكلمات المفتاحية:** الوهم، الصراع الوجودي، فؤاد تكرلي، السرد، النقد الأدبي.

Abstract:

This study represents an in-depth attempt to explore and analyze the novels of the prominent Iraqi writer Fuad al-Tikrli (1927–2008), considered a pillar of the modern classical novel in Arabic literature. Despite his limited literary output, his works have left a profound impact on Arab culture and have greatly enriched the Arabic literary canon. Al-Tikrli is known for his unique narrative style and his remarkable ability to portray scenes and characters with surprising realism, reflecting his influence from modern classical literature while maintaining his own unique creative signature.This study focuses specifically on the themes of illusion and psychological rupture as two key elements in al-Tikrli's works, using a descriptive-analytical approach. It seeks to deconstruct how al-Tikrli constructs his fictional worlds, imbued with the psychological turmoil and internal conflicts of his characters, which are often a reflection of the turbulent political and social reality of Iraq. By analyzing his major novels, such as "The Distant Return," "The Ring of Sand," and "Pleasures and Pains," the study explores how Al-Takarli employed innovative narrative techniques to depict the states of delusion experienced by his characters and the psychological turmoil they endure as a result of material and intellectual poverty, political oppression, and emotional deprivation. The study concludes that Fuad Al-Takarli was not merely a novelist describing reality, but rather a social reformer who deeply and skillfully diagnosed the ills of his society, leaving the reader room to contemplate possible solutions. His works are an honest reflection of human reality and its concerns, making him a unique literary voice and a prominent figure in the history of Iraqi and Arab literature.

Keywords: Illusion, existential conflict, Fouad Takarli, narrative, literary criticism.

المقدمة:

يحتل الروائي العراقي فؤاد التكرلي (١٩٢٧–٢٠٠٨) مكانة فريدة ومتميزة في خارطة الأدب العربي الحديث. فعلى الرغم من أن إنتاجه الروائي لم يكن غزيرًا، فإن القليل الذي كتبه استطاع أن يحفر عميقًا في ذاكرة النقد الأدبي ووجدان القرّاء على حدٍّ سواء، لما تميز به من بناء محكم، وتحليل نفسي دقيق، وقدرة فريدة على التقاط لحظات مفصلية في التاريخ العراقي الحديث، لقد كان التكرلي، الذي امتهن القضاء لعقود، شاهدًا دقيقًا على التحولات التي عصفت بمجتمعه، واستطاع أن يترجم هذه التجربة الحياتية إلى أعمال روائية باتت تُعدّ من العلامات الفارقة في الرواية العراقية الحديثة، ونماذج رائدة في تيار الرواية الحداثية. لم يكتفِ التكرلي بإغناء الحقل الروائي فقط، بل كانت له أيضًا بصمات مؤثرة في القصة القصيرة، مما جعله أحد ركائز المشهد الأدبي العراقي والعربي.تأثر التكرلي في بداياته كما هو حال كثير من أبناء جيله بالاحتكاك مع الآداب الأوروبية الحديثة، مما ساعد على نضج تجاربه وتشكيل أسلوبه الإبداعي الخاص، القائم على الواقعية النفسية والغوص في أغوار الذات البشرية، والكشف عن تناقضاتها وصراعاتها الداخلية. وسرعان ما تشكل صوته السردي المتميز، المتفرد في لغته، والبناء المتأني في شخصياته، والغارق في تفاصيل الوجدان العراقي.من بين الثيمات المركزية التي يمكن رصدها في عالم التكرلي الروائي، تبرز ثيمة الوهم والتمزق النفسي بوصفها خيطًا ناظمًا يربط بين معظم أعماله، ويشكّل مفتاحًا لقراءة عالمه الإنساني المعقّد. فشخصيات التكرلي، من "كريم" و"مدحت" في الرجع البعيد إلى "هاشم" في خاتم الرمل، ليست شخصيات بسيطة أو أحادية البعد، بل هي كائنات متصدعة، مأزومة، تعيش حالة من الاغتراب الوجودي عن واقعها، وتسعى لمواجهته أو الهروب منه، وأمام هذا الواقع القاسي والمشوّه –والذي غالبًا ما يكون انعكاسًا لتحولات سياسية واجتماعية عنيفة– تلجأ هذه الشخصيات إلى بناء عوالم داخلية موازية، وتعيش في منطقة رمادية بين الحقيقة والخيال، بين الذاكرة والنسيان، بين ما هو كائن وما كان ينبغي أن يكون.إن هذا التمزق في التاريخ الشخصي، وفي البنية السياسية والوجودية، يضع التكرلي في قلب التيار الحداثي المتردد في الرواية العربية. وقد أدرك أن التحولات الكبرى التي يمر بها المجتمع لا يمكن فهمها إلا من خلال انعكاسها على الفرد وتأثيرها في وعيه وبنيته النفسية. ومن هنا، فإن رواياته لا تكتفي بوظيفة التأريخ الاجتماعي، بل تنتمي إلى سردية عميقة تتطلب "تحليلًا للخطاب الروائي"(يقطين،١٩٩٧، ص١٣).١، يكشف عن طبقاتها الدلالية المتعددة، وهو ما يبرع فيه النقاد المتمرسون في تحليل النصوص الحداثية، ولقد برع التكرلي في تحويل هذه العوالم الداخلية المعقدة إلى بنى سردية متقنة، متجاوزًا الواقعية التقليدية، عبر توظيف تقنيات سردية حداثية مثل تكسير الزمن، وتعدد الأصوات، وتيار الوعي، والمونولوج الداخلي. هذه الأدوات السردية لم تكن مجرد زخرفة شكلية، بل كانت ضرورية للتعبير عن طبيعة الوعي المتشظي لشخصياته.إن عالم التكرلي الروائي هو عالم تحكمه الصراعات المعقدة، ليس فقط بين الفرد والمجتمع، بل وأيضًا داخل الفرد نفسه. هناك صراع بين الرغبة والواجب، بين الذاكرة المؤلمة والحاضر الهش، بين الحاجة إلى المعنى والإيمان بعبثية العالم. وفي صلب هذا الصراع، يظهر "الوهم" بوصفه ملاذًا نفسيًا يحتمي به الأفراد، لكنه يتحول أحيانًا إلى قيد أو سجن داخلي يعزلهم عن التفاعل الحقيقي مع العالم، كما أن دراسة هذه الجدلية بين الوهم والصراع الوجودي في أعمال التكرلي، لا تكشف فقط عن عمق فني وفلسفي كبير، بل تسلط الضوء أيضًا على مرحلة مفصلية في تاريخ الرواية العربية، تلك التي أخذت على عاتقها مهمة مساءلة الواقع، وتمثيل الإنسان في أشد لحظاته هشاشة وارتباكًا.تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة مفهوم "سردية الوهم" بوصفها استراتيجية فنية وموضوعية في أعمال التكرلي، واستكشاف كيف تتفاعل مع تمثلات الصراع الوجودي في سياقات متنوعة من التحولات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالعراق خلال القرن العشرين. وذلك من خلال تحليل البنية السردية، وتقنيات التشكيل النصي، وطبيعة الشخصيات، وأنماط الحوار، مع الانفتاح على المرجعيات الفكرية التي تضيء هذه التجربة السردية الفريدة.

إشكالية البحث وأهميته:

تنبع إشكالية هذا البحث من الطابع الإشكالي لعالم فؤاد التكرلي السردي، الذي يهيمن عليه الوهم. إذ لا تُبنى شخصياته على أسس واقعية صلبة، بل تظهر ككائنات متصدعة، تطاردها أسئلة المعنى والانتماء، وتعاني من تشوش في الهوية والوعي الزمني. فالتكرلي لا يقدّم حكاية خطية تقليدية، بل يوظف تقنيات سردية حداثية – مثل المونولوج الداخلي، وتيار الوعي، وتفتيت الزمن – ليعبر عن هذا التمزق الداخلي، وعن الوعي المتشظي الذي تعانيه شخصياته، وهو ما يجعل أعماله تمثل فضاءً خصبًا لتحليل سردية الوهم بوصفها أداة لتفسير الذات، ومواجهة العالم، أو الانسحاب منه.تطرح هذه الدراسة سؤالًا جوهريًا: كيف يتجلى الوهم في روايات التكرلي كآلية بنيوية في تشكيل وعي الشخصية؟ وكيف يتمظهر الصراع الوجودي باعتباره القوة المحركة للحبكة والبنية النفسية على حدٍّ سواء؟ فشخصيات مثل كريم ومدحت وهاشم لا تسعى إلى تغيير الواقع، بل إلى التصالح مع هشاشتها، ضمن صراع داخلي غالبًا ما ينتهي إلى العجز أو الانسحاب.ويؤكد محسن جاسم الموسوي هذا الطابع بوضوح حين يرى

أن التكرلي "ينجح في إعادة تشكيل الشخصية الروائية على نحو يعكس التحولات البنيوية للمجتمع العراقي، من خلال خطاب داخلي متوتر، يبرز فيه البعد النفسي والفلسفي للذات"(الموسوي، ١٩٨٠، ص٢١٢).٢، كذلك يشير فاضل ثامر إلى أن روايات التكرلي تتميز بما يسميه "بنية الخفَق، وهي بنية ناتجة عن الإحباط الفردي والوجودي، تتجلى في لغة مشحونة، وبنية سردية قلقة، تتبني على تداعي الأفكار وتفكك العلاقات بين الشخصيات والزمن" (ثامر، ١٩٨٦، ص٧٦)٣.وقال عنه الدكتور "علي جواد الطاهر" "إن التكرلي ليس قصاصًا فحسب، إنه مثقف في فن القصة، وفي عملها، وقواعدها، وقوانينها، وسماتها" (عادل، ٢٠١٧)٤تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلط الضوء على بعدٍ مهمل نسبيًا في أدب التكرلي، يتمثل في الاشتغال الواعي على الوهم بوصفه سردًا مضادًا للواقع، والصراع الوجودي بوصفه موقفًا فلسفيًا يتجاوز المحلي والسياسي، نحو الإنساني والكوني. ومن خلال هذه القراءة، يسعى المقال إلى تقديم تحليل نقدي يربط بين الشكل والمضمون، ويكشف عن الطاقة الفكرية والفنية الكامنة في نصوص التكرلي، والتي تجعلها من أبرز ما أنجزته الرواية العربية في القرن العشرين.

الدراسات السابقة:

شهدت أعمال فؤاد التكرلي اهتمامًا نقديًا متزايدًا من قبل دارسي الأدب العربي الحديث، نظرًا لما تتميز به رواياته من تعقيد نفسي، وانشغال بالهمّ الوجودي، وتوظيف تقنيات سردية حداثية تعكس وعيًا فنيًا عميقًا. وقد ركزت أغلب الدراسات السابقة على تحليل شخصية الفرد في مواجهة المجتمع والسلطة، وعلى رصد حالات الاغتراب والانكسار النفسي، دون أن تُعنى في الغالب بتفكيك ثنائية الوهم والصراع الوجودي كمدخل سردي وفلسفي في آنٍ معًا، ومن هذه الدراسات.[١] "الرجع البعيد قراءة أخرى لاستحالة العودة" عصام عباس أمين، موقع الحوار المتمدن، ٣-١-٢٠١٩. حيث أشار فيه إلى أن الرواية "ترصد تمزق الذات في مواجهة التحولات العنيفة في المجتمع العراقي، وتعكس استحالة العودة إلى حالة انسجام سابقة وقد فسّر الكاتب الوهم كاستجابة دفاعية في وجه الانهيار الحتمي للعلاقات الاجتماعية والهوية الفردية.[٢] "فؤاد التكرلي والتعلق بفكرة الطبائع" عبد الله إبراهيم، جريدة الرياض العدد ١٤٤٧٩، ١٤-٢-٢٠٠٨، مشيرًا إلى أن الرواية ترصد تمزق الذات في مواجهة التحولات العنيفة في المجتمع العراقي، وتعكس استحالة العودة إلى حالة انسجام سابقة. وقد فسّر الكاتب الوهم كاستجابة دفاعية في وجه الانهيار الحتمي للعلاقات الاجتماعية والهوية الفردية.[٣] "المجتمع اللااجتماعي دراسة في أدب فؤاد التكرلي، علي حاكم صالح، ٢٠١٢، وفيه يدخل إلى عالم الرواية كشخصية من شخصياتها. وهنا يؤسس لعالقة جديدة بين الناقد والنص والروائي الذي يعالجه ويعالج به مشكلات محدّدة، فكرية واجتماعية، وهذه العلاقة بالنص الروائي تتأسس حين يصبح الناقد إحدى شخصيات الرواية التي يدرسها. يسعى علي حاكم صالح في هذا الكتاب إلى التماهي بشخصيات الروايات التي يدرسها.[٤] "الشخصية العراقية في روايات فؤاد التكرلي"، حمزة طالب ٢٠١٦، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل تمثلات الشخصية العراقية في الخطاب الروائي، انطلاقًا من أن الرواية العراقية شكلت مرآة حقيقية للحياة الاجتماعية بكل تعقيداتها وتحولاتها. وقد تم اختيار تجربة فؤاد التكرلي بوصفها نموذجًا غنيًا ومتعدد الأبعاد من حيث الأسلوب والموضوع، لما تتميز به من قدرة على رصد التحولات النفسية والاجتماعية التي مرت بها الشخصية العراقية. ومن خلال الفصول المختلفة للدراسة، تم الوقوف على ملامح هذه الشخصيات، ورصد همومها وتفاعلاتها ضمن السياق الاجتماعي الذي تنتمي إليه، بما يعكس عمق الأزمة التي تعيشها الذات في واقع مأزوم ومتحول.[٥] "صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي" الاء قحطان عبد الرحمن، ٢٠٢٠، تضمّنت هذه الدراسة تحليلًا مركّزًا على تحولات الشخصية المثقفة، خاصة في ظل السياقات الاجتماعية والسياسية التي مرّ بها العراق. من خلال تتبع الشخصيات الروائية، خصوصًا في رواية "خاتم الرمل"، رُصدت ملامح الانكسار والاغتراب والخذلان التي يعيشها المثقف العراقي في عالم تتآكل فيه القيم وتتشظى فيه الهويات.[٦] "فؤاد التكرلي وسيكولوجية الأمة" نعيمة عبد الجواد، جريدة القدس العربي، ٢٧-٥-٢٠٢٤. وتضمنت تحليلًا معمقًا للبنية النفسية الجمعية في روايات التكرلي، وسعت إلى تتبع ملامح الوعي الجماعي والمزاج النفسي القومي المنعكس في خطاب شخصياته الروائية، وخاصة في ظل التحولات السياسية والاجتماعية العنيفة التي مرّ بها المجتمع العراقي.

المبحث الأول: تجليات الوهم في روايات فؤاد التكرلي

يُعد الوهم أحد المفاتيح المركزية لفهم العالم الروائي لفؤاد التكرلي. فهو ليس مجرد حالة ذهنية عابرة تصيب شخصياته، بل هو بنية نفسية وسردية متكاملة، وآلية معقدة تلجأ إليها الذات المأزومة لمواجهة واقع لا يُطاق. في هذا المبحث، سنستكشف الأشكال المختلفة التي يتخذها الوهم في روايات التكرلي، والوظائف التي يؤديها، والتقنيات السردية التي استخدمها الكاتب لبنائه وتجسيده فنيًا.

أولًا: الوهم كآلية دفاع نفسي في مواجهة واقع قاسٍ يتسم بالقمع السياسي، والانهيار الاجتماعي، والشعور العميق بالعجز، تبني شخصيات التكرلي عوالم وهمية موازية كآلية دفاعية للهروب والبقاء. هذا الوهم ليس مجرد خيال، بل هو ضرورة نفسية للبقاء على قيد الحياة، درعٌ يحمي الذات الهشة من التلاشي الكامل، تعتبر شخصية "مدحت" في رواية "الرجع البعيد" النموذج الأبرز لهذه الحالة. "مدحت"، المثقف الحالم، يعيش حالة من العجز

المزدوج: عجز في علاقته بزوجته، وعجز وجودي في مواجهة عالم لا يفهمه ولا يفهمونه. هذا العجز يدفعه إلى بناء وهم متكامل عن قدرته الفائقة على الفهم والتحليل، وهي قدرة تبقى حبيسة عقله ولا تترجم إلى فعل. إنه يرى نفسه كائنًا متفوقًا على من حوله، يمتلك بصيرة لا يملكونها. يتجلى هذا بوضوح في تأملاته الداخلية، حيث يقول:"إن شعوراً– أم لعله فكرة؟ – أو خليطًا من الأفكار والمشاعر تنتابني وأنا بصدد شخص أو موقف. كي تفسر أو توضح جوانب غير مرئية من الشخصية أو الموقف. هل أتفوق بميزة ما على أمثالي؟ ميزة قراءة ما بين سطور الحياة، ما بين سطور بعض البشر؟" (التكرلي،٢٠١٥، ص ٤١).٥.هذا التساؤل لا يعكس ثقة حقيقية بقدر ما هو بناء لوهم التميز، مدحت يخلق لنفسه هذه الميزة الوهمية ليقاوم بها شعوره بالدونية والعجز. الوهم هنا يعمل كآلية تعويض نفسي حيث يتم تعويض النقص في الواقع بفائض من الخيال.هذا الوهم بالقدرة على الفهم الخارق يجعله ينسحب من الفعل الحقيقي. فهو يكتفي بالتنظير والتأمل، معتقدًا أن هذا بحد ذاته دور بطولي. يظهر هذا الهروب من الفعل في حواره مع حسين، حيث يرفض الخوض في "المسائل العائلية والاجتماعية" مدعيًا أنها ليست من اختصاصه، بينما هي في صلب الحياة التي يعجز عن مواجهتها. يقول لحسين:"شوف حسين. خلي المسائل العائلية والاجتماعية من فضلك على جهة" (التكرلي، ٢٠١٥، ص١٠٨).٦

إن هذا الانسحاب ليس زهدًا، بل هو هروب إلى عالمه الوهمي حيث الفكر يغني عن الفعل، وحيث التحليل الذهني يصبح بديلاً عن المواجهة الواقعية. وبذلك، يصبح الوهم مساحة "مدحت" الآمنة التي تحميه من الانهيار النفسي الكامل أمام قسوة الواقع.

ثانيًا: تقنيات السرد في بناء عالم الوهم تكمن عبقرية التكرلي في قدرته على تجسيد هذه العوالم الوهمية فنيًا، وذلك عبر توظيف مجموعة من التقنيات السردية المبتكرة التي تكسر خطية السرد الواقعي التقليدي وتغوص مباشرة في وعي الشخصية.

ضبابية الحدود بين الواقع والخيال يتعمد التكرلي في كثير من المشاهد إزالة الفواصل الواضحة بين ما يحدث في الواقع وما يدور في ذهن الشخصية. على سبيل المثال، في حوار "مدحت" مع نفسه بعد لقائه بحسين، يمتزج الواقع بالذكرى بالحلم، حتى يصبح من الصعب على القارئ تحديد ما هو حقيقي وما هو متخيل. هذا التداخل يخلق لدى القارئ إحساسًا مشابهًا للإحساس الذي تعيشه الشخصية، وهو عدم القدرة على التمييز بين الحقيقة والوهم.

المونولوج الداخلي وتيار الوعي:هاتان التقنيتان هما الأداة الرئيسية التي يستخدمها التكرلي للكشف عن العوالم الداخلية لشخصياته. مونولوجات مدحت الطويلة، التي تمتد أحيانًا لصفحات كاملة، هي التي تبني عالمه الوهمي وتكشف عن منطقه الداخلي للقارئ. في هذه المونولوجات، نراه يناقش نفسه، ويحلل الآخرين، ويبني نظرياته عن الأنانية الصحية كقوله: "إنه ليس مرضاً، إنها الأنانية الصحية. العقلية. المنظمة. العالم لي بكل ثمن، والانفراد يعني دخوله بحذر وامتصاصه. استهلاكه دون توقف. شرط ألا تكون منه، لئلا يصير هذا الأمر سبباً في منعك عن تنفيذ مأربك" (التكرلي، ٢٠١٥، ص١٤١).٧ والحياة الشخصية في قوله: "وبين هذه البداية غير المؤكدة وهذا الانتهاء المفاجئ، خلال فترة زمنية معينة جداً، يبدأ أمر ما، شيء مركب غامض، لا يهم ما نسميه ولكنه يبدأ. إنه يبدأ وسينتهي بالتأكيد. هناك حدود إذن، وكل ما يوضع داخل هذه الحدود يجب – منطقياً – أن يكون محدوداً بها. يبدأ بعدها وينتهي قبلها. وهذا هو ما يسمى أيضاً، الحياة الشخصية" (التكرلي، ٢٠١٥، ص١٤٥)٨، وكلها تراكيب وهمية يدافع بها عن عزلته وعجزه.

رمزية المكان:يلعب المكان دورًا حاسمًا في تعزيز الإحساس بالوهم. السطح في بيت العائلة ليس مجرد مكان للنوم، بل هو فضاء رمزي للتأمل والهروب، مساحة بين الأرض والسماء، بين الواقع والحلم. يصف مدحت هذا المكان قائلاً: "كانت السماء باهتة اللون، خالية من النجوم. مر بغرفة عمته واستمر سائراً حتى وصل إلى السلم فارتقى الدرجات الترابية بخفة. انكشفت له فسحة الفضاء واتسعت السماء أمام ناظريه". (التكرلي، ٢٠١٥ص ١٦٧)٩. هذا الصعود إلى السطح هو صعود رمزي إلى عالم الوهم والتأمل، بعيدًا عن تعقيدات الحياة في الطوابق السفلى.

في المجمل، يتضح أن الوهم في عالم فؤاد التكرلي الروائي هو ظاهرة مركبة ومتعددة الأبعاد. إنه آلية دفاع نفسية، وعرض لمرض اجتماعي، وبنية سردية متكاملة. ومن خلال تحليله، نتمكن من فهم أعمق ليس فقط لشخصيات التكرلي، بل للمجتمع العراقي الذي أنتجها، وللتقنيات الفنية البارعة التي وظفها هذا الروائي الفذ لتشريح واقعه.

المبحث الثاني: التمزق النفسي وصورة الذات المتشظية

إذا كان الوهم هو الدرع الذي تحتمي به شخصيات التكرلي، فإن التمزق النفسي هو الجرح العميق الذي يكمن خلف هذا الدرع. لا يقدم التكرلي شخصيات متكاملة أو بسيطة، بل يقدم ذواتًا متشظية، ممزقة بين رغباتها المكبوتة وواقعها القاسي، بين ماضيها الذي يؤرقها ومستقبلها المسدود. هذا التمزق ليس مجرد سمة نفسية، بل هو المحرك الأساسي للصراع الدرامي في رواياته، والانعكاس الأدق لمجتمع يعيش حالة من التفكك والضياع.

١: مصادر التمزق النفسي

ينبع التمزق النفسي لدى شخصيات التكرلي من مصادر متعددة تتشابك فيها الأبعاد الشخصية، الاجتماعية، والسياسية، لتخلق أزمة وجودية عميقة.
أ: الصراع بين الأجيال والقيم تعتبر رواية "الرجع البعيد" مسرحًا لهذا الصراع بامتياز. يتمثل هذا الصراع في العلاقة المتوترة بين جيل الآباء، الذي يمثله "أبو مدحت" بقيمه التقليدية، وجيل الأبناء المأزوم. شخصية "حسين"، الزوج الهارب، تجسد هذا التمزق. هو ممزق بين مسؤوليته كزوج وأب، وبين رغبته في التحرر من هذا القيد. هذا الصراع الداخلي يجعله عاجزًا عن اتخاذ أي قرار حاسم. يتجلى هذا التمزق في حواره اليائس مع مدحت، حيث لا يبحث عن حلول بقدر ما يبحث عن مبررات لهروبه، مما يعكس تمزقه بين واجباته ورغباته. يقول حسين في حالة من اليأس والرفض:
"شوف حسين. أنت تعرف مشاعري تجاهك. لا تخليني أدخل طرف بقضية أحس بيها خاسرة. خلينا نحصل أول نوبة على... على. على أشياء تعتبرها أنت أساسية وضرورية لراحتك." (التكرلي، ٢٠١٥، ص. ٩٥).١٠هذا الحوار يكشف عن عمق الأزمة؛ لم يكن حسين يبحث عن حلول بقدر ما يبحث عن "راحة" مؤقتة من صراعه الداخلي، مما يعكس تمزقه بين واجباته ورغباته.
ب: القمع السياسي الاجتماعي يمثل القمع السلطوي، سواء كان سياسيًا أو اجتماعيًا، مصدرًا رئيسيًا للتمزق النفسي. في رواية "اللاسؤال واللاجواب"، نرى كيف أن بطل الرواية، عبد الستار، يعيش في حالة من الشلل النفسي نتيجة للظروف القمعية التي مر بها العراق. مرضه الغامض وشعوره بالانفصال عن الواقع هو تمثيل لآثار القمع على الفرد. يقول عبد الستار في أحد مونولوجاته الداخلية:"لم أكن حائراً، بل تائهاً يمتلكني خفية، فزع كلما اقترب وقت الإخلاد إلى السرير. طلبت من زكية أن تضع عدة مخدات بحذاء الجدار جواري، فمكثت تنظر إلى بغباء ثم أخبرتني بأننا لم نعد نملك إلا هذه المخدات التي ننام عليها." (التكرلي، ٢٠١٣، ص. ٧٣). ١١.هذا المقطع، على بساطته، يكشف عن عمق التمزق. فالخوف من النوم، والرغبة في الانفصال، والفقر المدقع، كلها أعراض لتمزق نفسي ناتج عن واقع خارجي ساحق.
٢: **تجليات التمزق السردي: ازدواجية الشخصية والسلوك المتناقض**يقدم التكرلي هذا التمزق النفسي عبر مظاهر سلوكية وسردية متعددة تكشف عن عمق الانقسام داخل الذات.في رواية "بصقة في وجه الحياة", لا تعود الذات ممزقة بين حالتين وحسب، بل تتفتت إلى درجة يصعب معها تحديد أي هوية ثابتة. الراوي في هذه الرواية يعيش حالة من السيولة والضياع، ممزقًا بين رغباته الجامحة وشعوره العميق بالخزي والاشمئزاز من نفسه ومن العالم. هذا التمزق يظهر في مونولوج داخلي يعبر عن حالة الانفصام الكامل عن الذات، حيث يراقب نفسه وكأنه شخص آخر""كنتُ، لهف نفسي على الضحكة التي ستطلقها يا صديقي العزيز، كنت في بيت قحاب، وكانت إحداهن بآلوانها وزخرفها وتجعدات وجهها السوداء هي التي تسالني باستغراب وهزء عن سكري الدي لم تجد له رائحة في فمي اليابس." (التكرلي، ٢٠٠٠، ص٦٦). ١٢.هنا، تتشظى الذات إلى "أنا" الراوي الذي يراقب، و"أنا" أخرى يتم مراقبتها والتأسف عليها ("لهف نفسي"). هذا الانقسام الحاد هو التجسيد المطلق للتمزق النفسي، حيث يصبح الإنسان غريبًا عن نفسه، يراقب أفعاله بدهشة واشمئزاز دون أن يملك القدرة على السيطرة عليها أو فهمها. إنه لم يعد "أنا" واحدة متكاملة، بل مجموعة من الذوات المتنافرة والمتصارعة.

المبحث الثالث: السرد كأداة للتشخيص والمقاومة

يتجاوز أدب فؤاد التكرلي مجرد التصوير الفني لحالات الوهم والتمزق النفسي، ليرتقي بالسرد إلى مستوى الأداة التشخيصية والفعل المقاوم. فالتكرلي، بخلفيته كقاضٍ وإنساني، لا يكتفي بعرض "المرض" بل يبحث في أسبابه العميقة، ويشرح "الجريمة" النفسية والاجتماعية التي أدت إلى هذا الانهيار في الذات. في هذا المبحث، سنحلل كيف يصبح السرد لدى التكرلي أداة للكشف عن أمراض المجتمع، وشكلاً من أشكال المقاومة الرمزية، ودعوة مفتوحة للقارئ للمشاركة في فهم الواقع وتغييره.

أولاً: الروائي كطبيب ومصلح اجتماعي يضع التكرلي شخصياته على طاولة التشريح، لا ليحاكمها، بل ليفهمها ويكشف عن العلل العميقة التي أدت بها إلى ما هي عليه. رواية "بصقة في وجه الحياة" هي المثال الأكثر جذرية لهذا النهج. فالرواية منذ بدايتها، ومن خلال مقدمتها التي كتبها التكرلي نفسه، تعلن عن نفسها كنص ملعون يهدف إلى "مواجهة موقف عام والكشف عن عناصر ذاته الجوهرية والهامة" (التكرلي، ٢٠٠٠، ص. ٧). ١٣.الشخصية الرئيسية في الرواية، التي تعيش حالة من التمرغ في المحرمات والضياع، ليست مجرد شخصية منحرفة، بل هي عرض لمرض مجتمعي أوسع. التكرلي يشرح نفسية هذه الشخصية ليكشف عن الفراغ القيمي والوجودي الذي أنتجها. النص لا يقدم إدانة أخلاقية سطحية، بل تشريحًا نفسيًا واجتماعيًا عميقًا. يتجلى هذا في المونولوجات الداخلية التي تكشف عن صراع الشخصية مع ذاتها ومع العالم، وهو صراع يصل إلى حدود العدمية. يقول الراوي في أحد المقاطع التي تعبر عن هذا الضياع:ولم أكن في الحق واجدا إلا حريتي، حريتي التي لم تكن إلا شعوري بها. فزعن طبعا. صارت الأم تضرب على صدرها بينما ركض البنات إلى الأسفل. ظنني مجنونا، لكنني لم أكن سوى إله." (التكرلي، بصقة في وجه

الحياة، ٢٠٠٠، ص. ٩٣). ١٤.هذا الإحساس المتضخم بالذات حد "الألوهية" ليس غرورًا، بل هو الوجه الآخر للضياع المطلق والتمزق الكامل. إنه وهم العظمة الذي يولد من رحم العدمية، وهو التشخيص الدقيق الذي يقدمه التكرلي لحالة إنسان فقد كل صلة حقيقية بالعالم والقيم.

ثانيًا: الكتابة كفعل مقاومة رمزيةفي ظل الأنظمة القمعية والظروف الاجتماعية الخانقة التي مر بها العراق، تصبح الكتابة، خاصة بهذا العمق من الغوص في النفس البشرية، فعلاً من أفعال المقاومة. التكرلي، من خلال كشفه للتمزق النفسي الذي يخلقه القمع، يدين هذا القمع بشكل غير مباشر ولكنه أكثر تأثيرًا.في رواية "بصقة في وجه الحياة"، لا يكتفي التكرلي بتشخيص المرض، بل يعلن أن الكتابة نفسها هي فعل تحدٍ ومقاومة ففي المقدمة التي كتبها بنفسه، يصف العمل الفني بأنه ليس مجرد انعكاس، بل هو "مواجهة"، وهو "سلاح للدفاع عن النفس". ثم يذهب إلى أبعد من ذلك، معلنًا أن الهدف هو ولادة "نص ملعون، غير مقدس، يرتفع بناؤه الهجين متحديا بفجاجة كل القيم المتوارثة". هذا الإعلان هو بحد ذاته فعل مقاومة جذرية. ثم يختتم المقدمة بالصرخة الوجودية المقتبسة من شمشون:"علي وعلى أعدائي يا رب" (التكرلي، ٢٠٠، ص٧). ١٥.هذا الاستشهاد ليس عابرًا، بل هو جوهر فعل الكتابة لدى التكرلي في هذه المرحلة. إنه يرى في الكتابة فعلًا تدميريًا وبنائيًا في آن واحد؛ تدمير للقيم الزائفة والواقع المريض (الأعداء)، حتى لو كان الكاتب نفسه جزءًا من هذا الهدم ("عليّ"). إنها مقاومة تصل إلى أقصى درجاتها، حيث تصبح الكتابة فعلا وجوديًا يضع الكاتب نفسه في قلب المعركة، مستعدًا لتحمل تبعات مواجهته للواقع، مما يجعل السرد هنا أداة مقادمة بامتياز.**ثالثًا: النهايات المفتوحة ودور القارئ** من أبرز سمات السرد لدى التكرلي هو تركه للنهايات مفتوحة، دون تقديم حلول جاهزة أو إجابات شافية. رواية "خاتم الرمل" تنتهي وبطلها "هاشم" لا يزال في حالة من التيه والضياع. ورواية "الرجع البعيد" تنتهي بموت "مدحت" دون أن تتحقق أوهامه، وبقاء "حسين" في حلقة مفرغة من التردد، هذه النهايات المفتوحة ليست علامة على العجز الفني، بل هي خيار فني وفلسفي عميق. التكرلي، من خلال تشخيصه الدقيق للوهم والتمزق، يقدم للقارئ "الحالة" بكل تعقيداتها، لكنه يرفض أن يقدم له "الحل". إنه بذلك يحمّل القارئ مسؤولية التفكير والتأمل. وكأنه يقول: "هذا هو المرض، وهذه هي أعراضه، أما العلاج فهو مسؤوليتكم أنتم".في خاتمة رواية بصقة في وجه الحياة، يصل الراوي إلى ذروة الوعي بحريته ورفضه المطلق، لكن هذا الرفض يتركه في فراغ وجودي. يقول:أنا، أنا المنطلق الوحيد الذي سيضع قدمه في العالم المخيف الموحش.. عالم الحرية والرفض المطلق، وأنا أعلم ما كنه عملي، ولهذا فقط يجب أن يقام لي نصب. أيتها الحرية، أيها الرفض المطلق، أيتها المسميات العزيزة على فؤادي. أخيرا.. أخيرا، ولكن ما أغلى الثمن." (التكرلي، بصقة في وجه الحياة، ٢٠٠٠، ص. ٩٣،٩٤).١٦.هذا "الثمن الغالي" هو ما يتركه التكرلي للقارئ ليتأمله. إنه يفتح الباب أمام السؤال بدلاً من إغلاقه بالإجابات الجاهزة، محولاً بذلك فعل القراءة من فعل سلبي للتلقي إلى فعل إيجابي ومشارك في إنتاج المعنى والتفكير في إمكانيات الخلاص.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح أن عالم فؤاد التكرلي الروائي يُبنى بشكل أساسي على ثنائية الوهم والتمزق النفسي، حيث لا تكونان مجرد موضوعات عابرة، بل هما العدسة التي يشرح من خلالها أزمة الإنسان والمجتمع العراقي. فمن خلال تحليل أعماله الرئيسية مثل "الرجع البعيد" و"بصقة في وجه الحياة"، كشفت الدراسة أن الوهم يمثل آلية دفاع معقدة تلجأ إليها الذات الهشة هربًا من واقع قاسٍ، بينما يمثل التمزق النفسي النتيجة الحتمية لهذا الواقع، متجليًا في شخصيات متشظية ومأزومة تعبر عن ضياعها بالعنف أو الانعزال. ولم يكن التكرلي مجرد راصد لهذه الحالات، بل وظّف السرد ببراعة، مستخدماً تقنيات تعدد الأصوات والمونولوج الداخلي، كأداة تشخيص عميقة لأمراض المجتمع. وبتركه النهايات مفتوحة، كما في صرخته الوجودية "عليّ وعلى أعدائي يا رب"، فإنه يحوّل الكتابة إلى فعل مقاومة، ويدعو القارئ إلى تحمل مسؤولية التفكير في إمكانيات الخلاص، تاركًا إرثًا أدبيًا خالدًا يجسد بصدق وألمِ شروخ النفس البشرية في مواجهة عالمٍ فقد يقينه.

المصادر والمراجع:

(١) التكرلي، فؤاد. (٢٠٠٠). بصقة في وجه الحياة. بيروت: منشورات الجمل.

(٢) التكرلي، فؤاد. (٢٠١٣). اللاسؤال واللاجواب. دمشق: دار المدى.

(٣) التكرلي، فؤاد. (٢٠١٥). الرجع البعيد (الطبعة الثالثة). دمشق: دار المدى.

(٤) عادل، سماح. (٢٠١٧). فؤاد التكرلي جسّد تاريخ العراق في كتابة أدبية عميقة. موقع كتابات.https://url-shortener.me/2N64

(٥) الموسوي، محسن جاسم. (١٩٨٤). نزعة الحداثة في القصة العراقية. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.

(٦) ثامر، فاضل. (١٩٨٦). القصة الخمسينية وعالم فؤاد التكرلي: ملامح بنية الخفق وبنية السرد. مجلة الأقلام، (العدد الرابع).

(٧) يقطين، سعيد. (١٩٩٧). تحليل الخطاب الروائي (الطبعة الثالثة). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.